



القيم الأخلاقية في هجرة الرسول ﷺ

مع إطلالة العام الهجري الجديد يعيد المسلم النظر إلى تاريخ **الهجرة النبوية** الأولى من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وما اتسمت به القيم الأخلاقية في هجرة الرسول ﷺ من ذلك: التضحية، الإيثار، الإخاء، المبادرة العامة، الوحدة، الولاء والبراء.. وما انبثق بعد الاستقرار في المدينة من مبادرات مختلفة من المؤمنين، دروس أخلاقية نبيلة نتعلمها من الجيل الأول في هجرتهم سواء قبل الهجرة أو أثناءها أو بعدها .

تعريف الهجرة النبوية

قبل التطرق إلى معنى الهجرة النبوية علينا تناول معنى كلمة الهجرة لغة واصطلاحاً.

الهجرة لغة

الهجرة في لغة العرب هي: ترك الشيء إلى شيء آخر، أو الانتقال من حالة إلى حالة أخرى، أو الانتقال من مكان إلى آخر. والهجر ضد الوصل، يقال: هجره يهجره هجراً وهجراناً صرماً، وهما يهتجران ويتهاجران، والاسم الهجرة، والهجرة الخروج من أرض إلى أرض. (1)

الهجرة اصطلاحاً

للحجرة في معناها الاصطلاحي الشرعي دلالات ومفاهيم، فقد عرفها الجرجاني بأنها ” ترك الوطن الذي بين الكفار والانتقال إلى دار الإسلام ” (2)

وعرفها الإمام **ابن حجر** العسقلاني : “والهجرة إلى الشيء: الانتقال إليه عن غيره. وفي الشرع: ترك ما نهى الله عنه. وقد وقعت في الإسلام على وجهين: الأول الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن كما في هجري الحبشة وابتداء الهجرة من مكة إلى المدينة، الثاني الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان وذلك بعد أن استقر النبي ﷺ بالمدينة وهاجر إليه من أمكنه ذلك من المسلمين. وكانت الهجرة إذ ذاك تختص بالانتقال إلى المدينة، إلى أن فتحت مكة فانقطع الاختصاص، وبقي عموم الانتقال من دار الكفر لمن قدر عليه باقياً” (3).

وعرفها الشيخ **محمد متولي الشعراوي** : بأنها “الخروج من دار الظلم إلى دار العدل أو خروج المسلم من بلد الفتنة إلى بلد الأمن فراًاً بدينه” (4).

دور الهجرة النبوية في الدعوة الإسلامية



وحين قال عليه الصلاة والسلام إنه (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية)، فإن الظاهر منه أن الهجرة توقفت إلى الأبد مع بقاء الجهاد، وحيال ذلك اجتهد العلماء في شرح هذا الحديث هل المقصود هنا الهجرة إلى الرسول ﷺ في المدينة من بلاد الكفر؟ أم كان جوابا على شكاية بعض الأعراب من شدة حمى المدينة ولأوائها؟ أم كانت الهجرة فرضا في بداية الإسلام لهدف اجتماع المسلمين في مكان واحد، وإقامة الدولة الإسلامية؟

هذه التساؤلات واردة لكن قوله: "ولكن جهاد ونية"، استثنى من الهجرة الجهاد، لأن الهجرة من بلاد المنبت والمولد إلى بلاد الغربة فيها كلفة وتعب وبذل المهج، وهي نوع من الجهاد في التعريف المختار، والهجرة التي نفاها الحديث هنا الهجرة المخصصة التي كانت من مكة المكرمة قبل الفتح، لأن مكة حين فتحت صارت بلاد الإسلام، لا تجوز الهجرة منها بعد ذلك، ولا ينسحب هذا الحكم على جميع الأحوال، ما لم يتحد السبب، فإن الهجرة من بلاد الكفر تبقى واجبة شرعا حين لا يتمكن المسلم من القيام بأمر دينه، وتكون العبرة هنا بالأمن في الدين والنفس، والحديث إذًا في هذا الإطار محكم لأنه وردت معه أسباب، ومتى ارتفعت هذه الأسباب رجع الحكم إلى الأصل.

إن بقاء الهجرة وهي نوع من الجهاد يجرنا إلى دراسة نماذج أخلاقية من هجرة رسول الله ﷺ لاصطحابها معنا في حياتنا اليومية، نبذل قصارى جهدنا في تعلمها وتطبيقها وتعليمها لكل من حولنا.

إن الهجرة النبوية غيرت مجرى تاريخ الدعوة الإسلامية، من مرحلة الضعف حين كانت يد الأعداء من مشركي قريش وغيرهم تناوش دعوة الإسلام، إلى مرحلة التمكين وتأسيس دولة الإيمان والعقيدة، واستقرت بذلك تعاليم ديننا بعقائده وشرائعه وأخلاقياته، ولكن الشيء الذي يجب على كل واحد منا أن يسأل نفسه ماذا يمكن أن نتعلم من هذه الحادثة التاريخية؟

ماذا نتعلم من الهجرة النبوية؟

نتعلم من هذه الهجرة جوانب أخلاقية رائعة، من ذلك التضحية، حين ترك الناس أهاليهم وأموالهم وأوطانهم في الله، لإعلاء كلمة الله، والرغبة في نيل مرضاة الله، محفزات عبت طريق الهجرة على الصحابة، صهيب الرومي مثلا يتخلى عن أمواله لقريش ليفسح المجال أمامه للهجرة، وأم المؤمنين أم سلمة يفرق بينها وبين زوجها أبي سلمة، وابنها من أجل الهجرة!

الإخاء والإيثار



نتعلم من الهجرة الإخاء والإيثار، كانت الأخوة بين المهاجرين والأنصار بلغت ذروتها، وتميزت بالإيثار والتعفف، كان الأنصاري يخير أخاه من المهاجرين أن يأخذ من أمواله ما يشاء، وكان المهاجري يتعفف أن يطلب بهلع وجشع! وصف القرآن الكريم خليقة المهاجرين بقوله: (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ) وقال في حق الأنصار: (يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ).

كانت الأخوة بين المهاجرين والأنصار بلغت ذروتها، وتميزت بالإيثار والتعفف، كان الأنصاري يخير أخاه من المهاجرين أن يأخذ من أمواله ما يشاء، وكان المهاجري يتعفف أن يطلب بهلع وجشع

هذا التآخي وصل المرتبة المثالية حين كان الصحابة يتوارثون بينهم ويتناصرون دون أرحامهم من المشركين، ويفضلون إخوانهم من المسلمين على ذوي القرابة الحقيقية من غير المسلمين، فكانت أخوة الإيمان والعقيدة أوثق لديهم. يروي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في حديث صحيح، وصفه لحال المسلمين في بدايات الإسلام، يقول: قَدْ أَتَى عَلَيْنَا زَمَانٌ أَوْ قَالَ حِينٌ، وَمَا أَحَدٌ أَحَقُّ بِدِينَارِهِ وَدِرْهَمِهِ مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، ثُمَّ الْآنَ الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (كَمْ مِنْ جَارٍ مُتَعَلِّقٍ بِجَارِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ يَا رَبِّ هَذَا أَعْلَقَ بَابَهُ دُونِي فَمَنَعَ مَعْرُوفَهُ).

القيم الأخلاقية في هجرة الرسول ﷺ

نتعلم من هذه النماذج القليلة الأخلاق الاجتماعية التي تمثلها هجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، ولنا أن نقارن بينها وبين وحال الأمة الإسلامية اليوم! ونحن نستحضر مواقف الصحابة وأدوارهم في حادثة الهجرة، وبناء الدولة الإسلامية.

هل نحن مجتمعون على كلمة واحدة أو مفترقون تبعاً للانتماءات والحركات، والنزوات، واللغات، والجنسيات؟

هل قدمنا يد العون والنصرة كما يلزم للمسلمين المغزوين في ديارهم؟

وهل إخلاصنا لديننا وعقيدتنا أقوى أم إخلاصنا للحركات، والشخصيات، والأفكار؟

تساؤلات متعددة يجب على كل مسلم مكلف أن يفكر عنها، ونجاهد أنفسنا على القيام بهذه الفضائل، ونراعي حقوق أنفسنا ومن حولنا من أبناء المسلمين.



عبرة الهجرة النبوية

